المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل
The Scientific Journal of King Faisal University
العلوم الإنسانية والإدارية
Humanities and Management Sciences

العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية وسلطنة سلاجقة الروم في الأناضول

فاطمة يحيى زكريا الربيدي
تاريخ إسلامي وحضارة إسلامية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن

Political Relations between the Abbasid Caliphate and the Sultanate of Rum Empire in Anatolia

Fatima Yahya Al- Rbaidi
Islamic History and Arab Islamic Civilization, Al-Balqa Applied University –Jordan,

KEYWORDS الكلمات المفتاحية
Abbasid caliphate, the rum seljuks in anatolia, political relations
الخلافة العباسية، سلاجقة الروم، الأناضول، علاقات سياسية

RECEIVED الاستقبال 26/04/2020
ACCEPTED القبول 25/07/2020
PUBLISHED النشر 01/03/2021

https://doi.org/10.37575/h/his/2329

الملخص

ارتبطت الخلافة العباسية في بغداد بسلسلة من العلاقات السياسية مع ملوك الدول وأمراء الأطراف؛ الإسلامية منها وغير الإسلامية، على اعتبار أنّ الخلافة تشكل مركز ثقلٍ سياسي عالمي، كما أنّها تمثل أعلى سلطة روحية دينية للمسلمين. تكشف هذه الدراسة عن طبيعة العلاقات السياسية التي ربطت بين الخلافة العباسية في بغداد، وسلطنة السّلاجقة في بلاد الروم منذ نَشْأةِ السلطنة وحتى سقوط الخلافة، وقد تذبذبت العلاقات السياسية بين الدولتين في البدايات وتأثرت إلى حدٍّ كبير بالعلاقات بين العباسيين وسلاجقة الشرق العظام، حيث إن سلاجقة الروم كانوا يشكلون أحد فروع مملكة السّلاجقة العظام، ثم انتظمت العلاقات بينهما بعد انقراض مملكة السّلاجقة العظام، وأصبحت على وتيرة واحدة اتسمت خلالها بالوفاق والاتفاق، وسارت على مبدأ تقديم فروض الطاعة والولاء للعباسيين، مقابل حصول السلاطين على منشور السلطنة وشاراتها من الخلافة، وذلك لإضفاء الصبغة الشرعية على حكوماتهم أمام الرعية.

ABSTRACT

The Abbasid Caliphate in Baghdad has been associated with a series of political relations with sovereigns of states and emirates of Islamic and non-Islamic parties, considering the fact that the Caliphate is a global political strength. It also represents the highest spiritual and religious authority of Muslims. This study reveals the nature of the political relations between the Abbasid Caliphate and the Sultanate of the Seljuks (Rum Empire) in Anatolia, from the birth of the Sultanate until the fall of the Caliphate. Moreover, relations between the two countries fluctuated in the beginning and were greatly influenced by relations between the Abbasids and the Great Seljuks of the East, since Rum Seljuks were forming one of the branches of the Great Seljuq Empire. Then, after the extinction of the Great Seljuks, relations between them improved and stayed on a path of agreement and harmony, adhering to the principles of obedience and loyalty in exchange for providing the Sultanate legitimacy for government in the eyes of its people.

1. مقدمة

يشكل تاريخ السّلاجقة حقبة زمنية مهمة لدى الباحثين في حقل الدراسات التاريخية، وقد انقسم السّلاجقة إلى عدة فروع، نسب كل فرع منها إلى المنطقة الجغرافية التي حكم فيها، ويعد سلاجقة الروم أحد الفروع التي انبثقت عن مملكة السّلاجقة العظام الذين حكموا بلاد فارس والعراق، إضافة إلى سلاجقة كرمان. وقد انشغل الباحثون بدراسة العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية وسلاجقة الشرق العظام؛ وذلك لوفرة المعلومات التاريخية في المصادر، في حين ندرت الدراسات المتعلقة بالعلاقات العباسية وسلاجقة الروم، ولا نكاد نجد دراسة وافية تناولت العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية وسلاجقة الروم. ومن هنا، جاء اختيار هذا الموضوع الذي يعد حلقة في سلسلة حلقات الأبحاث التي تكشف عن العلاقات السياسية لكلٍ من العباسيين وسلاجقة الروم على حدٍّ سواء.

2. تمهيد

تطلّع السّلاجقة بأنظارهم نحو بلاد الروم منذ زمن مبكر، فقد أرسل السّلطان ركن الدين طغرل بك (429-455هـ / 1038- 1063م) العديد من الحملات العسكرية إلى بلاد الروم، أهمها الحملة التي كانت بقيادة ابن عمه الأمير قتلمش، للإغارة على أراضي الدولة البيزنطية سنة (440هـ/1048م)، فتمكنت خلالها الجيوش السلجوقية من السيطرة على العديد من المدن البيزنطية، حتى وصلت إلى مشارف البحر الأسود [1]. وكان الطابع العام للحملات في عهد السّلطان طغرل بك، السلبَ والنهبَ دون الاستقرار في المدن المفتوحة. ويبدو أن طابع البداوة الذي كان عليه السّلاجقة، أثر إلى حدٍّ كبير في عدم رغبتهم في الاستقرار في المناطق التي كانوا يصلون إليها.

ولما توفي طغرل بك، خلفه السلطان ألب أرسلان (455-465 هـ / 1063-1072م)، الذي واصل تسيير الحملات إلى بلاد الروم، وأحرز العديد من الانتصارات في المناطق التي تقع بين مملكة أرمينية وجورجيا، ومدّ نفوذه إلى جميع أنحاء أرمينية، حتى غدت قاعدة مهمة لهجمات السّلاجقة على بلاد الروم، كما أصبحت تشكل حائط صدٍّ منيع أمام الهجمات البيزنطية على أراضي المسلمين.[2]

وفي سنة (456هـ/1064 م)، خرج الأمير قتلمش محارباً لابن عمه السّلطان ألب أرسلان، وقصد أخذ السلطنة منه، ودار بينهما صراع انتهى بمقتل قتلمش، وقد عفا السّلطان عن أبنائه ومنهم الأمير سليمان بن قتلمش، وأرسلهم للقتال على ثغور بلاد الروم لحرب البيزنطيين والتصدي لهجماتهم. وهناك بدأ سليمان بن قتلمش وغيره من الأمراء السّلاجقة يتوغلون في إقليم آسيا الصغرى، بغرض تكوين إمارات لهم في ظل سيادة السّلاجقة العظام[3]. وبعد الانتصار الكبير الذي حققه السّلطان ألب أرسلان على البيزنطيين في معركة منازكرت سنة (474هـ / 1071م)[4]، ترسخت أقدام السّلاجقة في بلاد الروم.[5]

ظلّ السّلطان ملكشاه (465-485 هـ/ 1072 – 1092 م) يراقب عن كثب تحركات الأمير سليمان في بلاد الروم، وقد عيّنه حاكماً على السّلاجقة هناك سنة (470هـ/ 1077م)[6]، وبذلك أسّس الأمير سليمان بن قتلمش سلطنة السّلاجقة في بلاد الروم، واتخذ من مدينة نيقية[7] عاصمة له، وتعاقب على حكم السلطنة خمسة عشر سلطاناً، وقدر لها أن تعيش حتى سنة (708 هـ/1308). [8]

سميت بلاد الروم بهذا الاسم نسبة إلى الروم البيزنطيين؛ لأنها كانت بلادهم في القديم، ولما فتحها السّلاجقة نُسبوا إليها، وأطلق عليهم سلاجقة الروم[9]. وبعد سقوط سلطنة السّلاجقة سنة (708هـ/1208م)، ظهرت الإمارات التركمانية المستقلة، فعرفت المنطقة باسم بلاد الأتراك[10]، وتمتد بلاد

(1) ابن الأثير، علي بن الحسن أبي الكرم محمد الشيباني.(1972).الكامل في التاريخ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ج8، ص48.
Cahen, C.(1968).*Pre-ottoman Turkey 1071-1330*:TranslatedfromTheFrench:by:JohnesWilliams London., p68.
(2)Cahen, , *pre ottoman Turkey,* p70
(3)OP.cit,, p73
(4) ميخائيل السرياني.(1996) تاريخ مارميخائيل الكبير. دمشق: دار ماردين، ج3، ص141، ابن العبري ، أبو الفرج بن هارون جمال الدين الملطي.(1986).تاريخ الزمان. بيروت: دار المشرق، ص 109-110.
(5)طقوش، محمد . (2002).تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى. بيروت: دار النفائس .ص52.
(6) Cahen, , *pre ottoman Turkey*, p76

(7)نيقية: مدينة قديمة أزلية، اجتمع بها آباء الملة النصرانية وكانوا يزعمون أن المسيح كان معهم بالجمع، لا يعرف تحديداً من هو بانيها، وهي مدينة جليلة والمسافة بينها وبين عمورية ثمانية أيام .البروي ، أبو الحسن علي بن أبي بكر .(2002).الإشارات إلى معرفة الزيارات ، القاهرة :مكتبة الثقافة الدينية، ص54
(8) منجم باشي، أحمد بن لطف الله .(2000).جامع الدول، أزمير:دار الكتب الأكاديمية ،مج2 ، ص3.
(9) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله.(1987).تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت: دار الكتب العلمية ، ص299. منجم باشي ، جامع الدول، مج2، ص1.
(10)ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى.(1992). التعريف بالمصطلح الشريف ، الأردن : جامعة مؤتة. ص51.

Corresponding Author: Fatima Yahya Al- Rbaidi faalrobidi@yahoo.com , 00962776634639 المؤلف المراسل: فاطمة يحيى زكريا الربيدي

الروم شرقاً من حدود أرمينية في شمالي بلاد الجزيرة وما والاها من بلاد الأرمن، وتأخذ من جهة الغرب إلى بحر الروم، ويلفها البحر من جهة الجنوب، ويمتد عليها حتى يتصل بالخليج القسطنطيني، فيدور عليها الخليج وبحر القرم من الغرب والشمال كالجزيرة، ويحيط ببلاد الروم البحر من جميع جوانبه إلّا الجهة الشرقية.[11]

3. العلاقات السياسية منذ عهد الخليفة المقتدي بالله حتى عهد المستضيء بأمر الله

3.1. العلاقات زمن الخليفة المقتدي بالله (467-487 هـ/ 1075-1094م):

ظهرت العلاقات السياسية مبكراً بين العباسيين وسلاجقة الروم، وترجع بداية العلاقة إلى زمن سليمان بن قتلمش مؤسس دولة السّلاجقة في الأناضول (470-479 هـ / 1077-1086م)، فعندما سمع الخليفة المقتدي بالله بانتصاراته المتوالية على البيزنطيين، أرسل إليه الهدايا ونادى به سلطاناً وثبته في الرئاسة، ويشير المؤرخ السرياني إلى ذلك بقوله: "...وكلما ظهر أمير من خراسان وسيطر على جزء من بلاد الروم، ثبت حاكماً لذلك الجزء من قبل سلطان خراسان وخليفة بغداد، الذي كان زعيماً روحياً لهم".[12]

وأكد الباحثون وجود هذا النوع من العلاقات السياسية المحكمة القواعد بين الخلافة العباسية والفرع السلجوقي الناشئ في بلاد الروم، فقد أرسل الخليفة شارات السلطنة وشعاراتها للسلطان سليمان كإثبات على شرعية حكمه في البلاد، وكان دافع الخلافة من ذلك المحافظة على مناطق الثغور الإسلامية من الهجمات البيزنطية، ومنعاً لانتشار الدعوة الفاطمية وامتدادها إلى إقليم الأناضول[13]. في حين يرى آخرون أنه لا توجد صلات رسمية بين الدولتين زمن سليمان بن قتلمش، حتى إن لقب السّلطان الذي كانت تطلقه عليه المصادر البيزنطية، لم يحصل عليه رسمياً؛ لا من الخلافة العباسية ولا حتى من السّلطان ملكشاه الذي كان يعدّ نفسه السّلطان الأعظم لجميع فروع السّلاجقة، ويعتقد أن رجال سليمان وأتباعه، هم الذين كانوا ينادونه بالسّلطان.[14]

إنّ استقراء الأحداث السياسية والتطورات على الساحة السلجوقية الناشئة في بلاد الروم في هذه المرحلة، يكشف عن عدم وجود علاقات سياسية مباشرة مع الخلافة العباسية، فحتى ذلك الحين لم يتجاوز سليمان بن قتلمش حدود التبعية والانقياد للسّلاجقة العظام، وتشير الأخبار إلى أنه لما فتح مدينة أنطاكية سنة (477هـ / 1084م)، أرسل بشائر الفتح للسلطان ملكشاه، وأظهر له الطاعة، وألقى الخطبة باسمه.[15]

كما لم يكن لسلاجقة الروم في هذا الوقت المبكر استقلالية في الحكم أو الإدارة عن السّلاجقة العظام، فبعد مقتل سليمان بن قتلمش سنة (479هـ/1087م) أسر ملكشاه ابنه الأمير قليج أرسلان، وظل رهينة لديه حتى أفرج عنه سنة (485 هـ/ 1092 م)، وأعاده إلى مملكة أبيه في بلاد الروم [16]. وأصبح قليج أرسلان هو الحاكم الرسمي على بلاد الروم؛ بحكم وراثة الأبناء ونسبه السلجوقي، وقدر له حكم البلاد خلال الفترة (485-500هـ/ 1092-1107م) .

3.2. العلاقات زمن الخليفة المستظهر بالله (487-512هـ/1094-1118م):

بادر الخليفة المستظهر بالله إلى الاتصال بالسّلطان قليج أرسلان وأرسل إليه شارات السلطنة، وقد اشتملت على الخلعة والعلم والطبل (النوبة) ومنشور السلطنة، وقرر له ما بيديه من الممالك ببلاد الروم [17]. لكن حوادث العام (496هـ/1103م) تشير إلى تذبذب في العلاقات بين العباسيين وسلاجقة الروم، بسبب ما ظهر بين السّلاجقة والدانشمنديين من خلاف؛ ففي هذه السنة وقع الأمير بوهمند الأول مؤسس الإمارة الصليبية في أنطاكية أسيراً لدى كمشتكين أحمد أمير سيواس (477-499هـ/1084-1106 م)، فقام بإطلاق سراحه مقابل فدية مالية، وقيل إن السّلطان قليج أرسلان طلب من الدانشمند جزءاً من تلك الفدية، وأرسل السّلطان إلى الخليفة المستظهر بالله يحرّضه على الدانشمنديين، وكان بينهم وبين السّلاجقة صراعات طويلة على الممتلكات والحدود[18]، لكن الخلافة لم تستجب له ووقفت موقفاً حيادياً تجاه الأمير الدانشمندي. ومع ذلك، فإن هذا الحدث لا ينبئ بسوء العلاقات بين العباسيين والسّلاجقة، ويبدو أنّ الخلافة اتخذت سبيل السياسات المتوازنة مع قوى الأطراف جميعها، في ظل حالة الضعف التي تغشّتها إزاء سيطرة السّلاجقة العظام.

واكب سلاجقة الروم التطورات على الساحة السلجوقية عند السلاطين العظام بعد وفاة ملكشاه سنة (495هـ/ 1092م)، واحتدام الصراعات الأهلية التي اشتعلت بين ورثته على العرش، ولمّا اصطلح الإخوة واتفقوا على تقسيم الممتلكات فيما بينهم سنة (495هـ/1103م)، كانت ولايات أذربيجان وديار بكر والجزيرة الفراتية والموصل، من نصيب السّلطان محمد بن ملكشاه، وقد ظهرت لدى سلطان الروم بوادر نزعة انفصالية عن أبناء عمومته سلاجقة الشرق العظام، في وقت كان قد عظم فيه شأنه وتمكنت هيبته من قلوب الناس، وأطاعته ملوك الأطراف وهادنه ملوك بيزنطة[19]، وقد اتسعت ممتلكاته حتى وصلت في جهاتها الشرقية إلى مدينة ملطية وانتزعها من الدانشمنديين [20]،فأصبح بذلك على تماس مباشر مع الموصل التي كانت تتبع رسمياً لإدارة محمد بن ملكشاه، وتطلّعت أنظار قليج أرسلان لضم الموصل إلى ممتلكاته في بلاد الروم .[21]

أما الخلافة العباسية، فقد استغلت هي أيضاً حالة الضعف التي انتابت السّلاجقة العظام في هذه المرحلة، وسعى الخليفة المستظهر بالله إلى التخلص من هيمنتهم، واستبدالهم بسلطة سياسية جديدة تدين له بالطاعة والولاء، فأرسل مبعوثاً إلى السّلطان قليج أرسلان يستدعيه إلى بغداد ليقلده السلطنة .[22]

تجدر الإشارة إلى أن قليج أرسلان، كان أول من تلقب من سلاطين الروم بلقب "السّلطان، "وذلك وفقاً لما ورد في المصادر البيزنطية[23]، ولا نعلم إن كانت الخلافة العباسية هي من أنعمت عليه باللقب، أو أنه اتخذه لنفسه تجسيداً لنزعته الانفصالية عن أبناء عمومته السلاطين العظام، واعتبار نفسه نداً لهم في الوقت الذي استشرت بينهم الصراعات الأهلية على العرش. وكل ما يمكن تأكيده أنه كان للقب السّلطان أهمية بالغة في العصر السلجوقي، فقد كان يطلق على الحاكم الأعظم، بينما يطلق لقب الملك على بقية أمراء الأسرة السلجوقية.

استجاب السّلطان قليج أرسلان لدعوة الخليفة المستظهر بالله، وسار بجيش سلجوقي كبير نحو بغداد سنة (500هـ/ 1107 م)[24] . ومن المؤكد أن هذه المبادرة كانت تشكل فرصة كبيرة لطموحات السّلطان قليج أرسلان وتوسعاته على الجبهة الشرقية من بلاد الروم. ووصلت الجيوش السلجوقية إلى مشارف الموصل، فأرسل أهلها يستجيرون بالسّلطان ويستحلفونه على المناصحة والمناصرة على الأمير جاولي سقاوو نائب محمد بن ملكشاه في الموصل، فحلف لهم السّلطان ودخل الموصل وملكها، وأسقط اسم السّلطان محمد بن ملكشاه من الخطبة، وخطب لنفسه بعد اسم الخليفة المستظهر بالله [25] . وبعد مدة وجيزة، تمكن الأمير جاولي سقاوو من استمالة قادة جيش قليج أرسلان فتفرقوا عنه وغدروا به، وتوفي السّلطان غرقاً في نهر الخابور سنة (500هـ /1107م) .[26]

وبذلك، تبددت آمال سلطان سلاجقة الروم المعقودة على الاقتران بخلافة بني العباس، وفشلت مساعيه في الحصول على تقليد من دار الخلافة له بمنصب السلطنة، وانطوت الصفقة التي بذل فيها الخليفة المستظهر بالله

(11) أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر.(د.ت). تقويم البلدان ، بيروت: دار صادر، ص378.
(12) ميخائيل السرياني، التاريخ الكبير، ج3، ص144.
(13) Turan, O.(1971).*Anatolia in the period of the Seljuks and the Bylik's.*Cambridge : The Cambridge History of Islam. Vol.1. pp231-232.
(14) Cahen, *Pre- Ottoman Turkey,* p75-76.
(15) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص136، الاقسرائي، محمد بن عبد الكريم.(1999). مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار، أنقرة: د.ن، ص21.
(16) سبط بن الجوزي، شمس الدين يوسف بن عبدالله.(1951). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج8، ق1. الهند : دائرة المعارف العثمانية ، ص443.
(17) نكيدي ، القاضي أحمد. (2009). الولد الشفيق والحافد الخليق. إزمير: دن ، ص313.
(18) منجم باشي ، جامع الدول، مج2، ص 135.
(19) منجم باشي ،جامع الدول، مج2، ص11 .
(20) ابن العبري، تاريخ الزمان،ص128.
(21) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج8، ص236-238.
(22) الاقسرائي، مسامرة الأخبار، ص28، المستوفي القزويني، حمد الله بن أبي بكر.(دت).تاريخ كزيدة.تهران: مؤسسة انتصارات أمير كبير، ص474.
(23) أنا كومنينا، أليكساد.(2004). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة ،ص266.
(24) الاقسرائي ، مسامر الأخبار، ص28.
(25) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص241.
(26) المصدر نفسه، ج8، ص241 .

جلّ مساعيه لإحلال سلاجقة الروم محل سلاجقة الشرق العظام، أما سلاجقة الشرق فقد حالوا دون تقدم سلاجقة الروم، ولم يسمحوا لهم بالتوسع على حسابهم أو الحصول على اعتراف الخلافة بشرعية حكمهم المستقل ببلاد الروم.[27]

وبعد وفاة قليج أرسلان، قام السّلطان محمد بن ملكشاه بأسر ابنه ملكشاه - الذي كان برفقة والده بالموصل- وسجنه في خراسان[28]، ودبّت الصراعات الأهلية بين الورثة على العرش، واستولى طغرل أرسلان على الأقاليم الشرقية من بلاد الروم، بينما استقرّ الابن الثاني ركن الدين مسعود في سيواس، وظلّ ابنه الثالث عرب يحكم في العاصمة قونية.[29] وقد أجمع الأمراء على تنصيب الابن الأصغر للسلطان قليج أرسلان، وهو ركن الدين مسعود، سلطاناً رسمياً للسلاجقة سنة (500 هـ/ 1107م).[30]

كانت الخلافة العباسية تتابع التطورات السياسية على جبهة الأناضول، ويبدو أنه ساءها ما حلّ بالسّلطان قليج أرسلان، فقد أرسل الخليفة المستظهر بالله رسالة تعزية إلى ابنه ركن الدين مسعود، وأعطاه منشوراً يفوضه فيه بالسلطنة ويضفي عليه شرعية التقليد، وأرسل له لواءً أسودَ وخلعاً وتشريفات[31]، كما توسط الخليفة المستظهر بالله لدى السّلطان محمد بن ملكشاه في سنة (503هـ/1109م) بإطلاق سراح ملكشاه بن قليج أرسلان بعد ثلاث سنوات من الأسر، وقد استجاب السّلطان محمد لذلك، وأطلق سراح ملكشاه وقلده ولاية أبيه في بلاد الروم[32]، وأعطاه الخليفة المستظهر بالله تقليداً جديداً، وأرسل إليه النوبة تضرب ثلاث مرات ومظلة ولواء بني العباس[33]، وكلها شارات سيادية تخول السّلطان ملكشاه ممارسة سلطاته الشرعية في بلاد الروم، وقد حكم السلطنة مدة سبع سنوات.

إنّ هذه المبادرة التي قام بها السّلطان محمد بن ملكشاه بإطلاق سراح ملكشاه بن قليج أرسلان، تعد خطوة جديدة لإحكام قبضة السّلاجقة العظام على فرعهم الممتد في بلاد الروم، ليظل السّلطان الجديد تحت ولائهم وطاعتهم، بعد أن تفضلوا عليه بإطلاق سراحه وتنصيبه سلطاناً في بلاد الروم. وانقطعت بعد ذلك أخبار العلاقات بين العباسيين وسلاجقة الروم زمن الخليفة المسترشد بالله (512-520 هـ / 1118-1126 م)، وقد انشغل السّلطان ملكشاه بن قليج أرسلان خلال ذلك بصراعاته مع البيزنطيين وتوسعاته على الجبهة الغربية.[34]

3.3. العلاقات زمن الخليفتين الراشد بالله (529-530هـ / 1134-1135م) والمستضيء بأمر الله (566-575هـ/ 1170-1180م):

ثار ركن الدين مسعود بن قليج أرسلان على أخيه السّلطان ملكشاه سنة(510 هـ / 1116 م)، وأطاح به واستلم العرش[35]، وحكم البلاد حتى سنة (550 هـ/ 1155 م)، وصف خلالها برجاحة العقل والعدل وحب العلم والعمل به[36]، وكان أولّ سلطان ظهرت له نقود رسمية في بلاد الروم نقش عليها لقب "السّلطان المعظم عزّ الدنيا والدين ناصر أمير المؤمنين"[37]، ولا يعلم تحديداً متى أنعم العباسيون على السّلطان بهذا اللقب، لكن المعلوم أنّ العلاقات السياسية نشطت بين الدولتين زمن الخليفة الراشد بالله، وذلك إثر الصراع الذي نشب بين الخليفة والسّلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه (529-547 هـ/ 1134 – 1152 م)، فقد استنجد الخليفة بملوك الأطراف للوقوف إلى جانبه، وكان من بينهم السّلطان مسعود ابن قليج أرسلان، لكن ملوك الأطراف خذلوه وتقاعسوا عن نصرته بمن فيهم سلاجقة الروم[38]. ويبدو أن سلطان بلاد الروم كان يستذكر ما حل بوالده من رزية مقتله على يد سلاجقة الشرق، عندما استنجد به الخليفة المستظهر بالله سابقاً؛ فقد نظر بعين ثاقبة لعواقب انحيازه إلى العباسيين ضد السّلاجقة العظام.

توفي السّلطان مسعود بن قليج أرسلان سنة، وتولى السلطنة من بعده ابنه عز الدين قليج أرسلان، وحكم الأناضول خلال الفترة (551 – 588 هـ/ 1156 – 1192 م)، وهو من أشهر سلاطين الروم الذين رسّخوا قواعد السلطنة وحافظوا على استمراريتها، فقد اتسعت أملاك الدولة في زمانه، حتى بلغت مساحتها مسيرة الأربعة أشهر، وصاحب القسطنطينية كان يؤدي الجزية إليه[39].. وقد عاصر أربعة من خلفاء بني العباس هم: المقتفي لأمر الله، والمستنجد بالله، والمستضيء بأمر الله، والناصر لدين الله. ولم يرد في المصادر التاريخية أخبار عن العلاقات بين الدولتين زمن المقتفي والمستنجد بالله، لكن سلطنة قليج أرسلان الثاني، تعدّ مرحلة بالغة الأهمية في انفصال سلاجقة الروم واستقلالهم استقلالاً تاماً عن سلاجقة الشرق العظام[40] بعد وفاة السّلطان معز الدين سنجر، كما تأثرت الخلافة العباسية إيجابياً بذلك؛ فقد عاد لها رونقها وقوتها[41]، وأخذت تبحث عن قوة سياسية جديدة تثق بقدرتها العسكرية لإحلالها محل السّلاجقة العظام.

برزت العلاقات من جديد بين الخلافة العباسية وسلاجقة الروم في سنة (568 هـ / 1173 م)، عندما نشب الخلاف بين نور الدين محمود زنكي والسّلطان عز الدين قليج أرسلان، وكان نور الدين قد عزم على حرب السّلاجقة بسبب ذي النون بن محمد ملك الدانشمنديين، فقد استجار بالسّلطان الزنكي بعد أن احتل السّلطان قليج أرسلان جميع ممتلكاته في ملطية وسيواس[42]، فأجاره نور الدين وأرسل رسالة إلى قليج أرسلان، يطلب منه رد الأملاك الدانشمندية إليهم[43]، ولما رفض سلطان السّلاجقة ذلك، سيَّر الزنكي جيشاً لحربه في بلاد الروم، كما أرسل رسولاً إلى الخليفة المستضيء بأمر الله يستظهره على السّلاجقة، ويطلب منه تقليداً مما بيديه من البلاد مصر والشام والموصل وما يجاورها من بلاد الروم، فأجيب إلى مطلبه من دار الخلافة..[44]

كان هذا الموقف كفيلاً بتصعيد حدة الخلافات بين العباسيين وسلاجقة الروم، لكن شيئاً من هذا لم يحدث. وبعد وفاة نور الدين الزنكي سنة (569هـ-1174م)، لم تحرك الخلافة ساكناً إزاء أطماع السّلطان عز الدين قليج أرسلان التوسعية في بلاد الدانشمنديين، فقد سيطر على مدينة سيواس وضمها لأملاك السّلاجقة[45]. ويبدو أن المصالح العليا للخلافة العباسية، قد أملت عليها الانحياز لجانب نور الدين في صراعه مع السّلاجقة، فهي ما زالت تدين له بقطع الخطبة عن الفاطميين في القاهرة سنة (566هـ/1170م) وإحلالها للخليفة المستضيء بأمر الله.[46]

ظهر اسم الخليفة المستضيء بأمر الله على سكة السّلطان قليج أرسلان ولقب بـ" السّلطان المعظم...، حافظ بلاد الله معين خليفة الله، ناصر أمير المؤمنين"[47]. ومع أن نقش اسم الخليفة على السكة السلجوقية كان يعدّ حقاً من الحقوق التي تمسك بها الخلفاء، مهما تغيرت الظروف السياسية والعلاقات الدولية، إضافة إلى اهتمام السلاطين بذلك لإضفاء الشرعية على سلطانهم[48]، إلا أنّ للقب هنا دلالته السياسية؛ فلقب "معين خليفة الله" و"ناصر أمير المؤمنين"، يشير إلى دعم ومناصرة السّلاجقة للخلفاء العباسيين، ويؤكد ذلك أيضاً نصوص الإنشاء الواردة على الشواهد والقبور؛ حيث تضمنت اسم الخليفة، فقد نقش على تربة السّلطان قليج أرسلان "سلطان بلاد الروم والشام ناصر أمير المؤمنين".[49]

4. العلاقات السياسية منذ عهد الخليفة الناصر لدين الله حتى سقوط بغداد على يد المغول

4.1. العلاقات زمن الخليفة الناصر لدين الله (575 – 622 هـ /

(27)زيباري، محمد صالح .(2007).سلاجقة الروم في آسيا الصغرى .عمان: داردجلة، ص148.
(28) قاضي نكيدي، الولد الشفيق، ص313.
(29)ابن العبري ، تاريخ الزمان، ص131-132.
(30)منجم باشي، جامع الدول، مج2، ص13.
(31)قاضي نكيدي، الولد الشفيق، ص313.
(32) منجم باشي، جامع الدول، مج2، ص13.
(33)قاضي نكيدي، الولد الشفيق، ص315.
(34) آنا كومنينا، أليكساد، ص558.
(35) المصدر نفسه، ص612.
(36)منجم باشي، جامع الدول، مج2، ص14.
(37)الحسيني، محمد باقر.(1971). دراسة تحليلية واحصائية للألقاب الإسلامية، مجلة سومر، مج27، ج1-2، ص211.
(38)ابن العمراني، محمد بن علي .(1973).الأنباء في تاريخ الخلفاء. لايدن : المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، ص223.

(39) ابن جبير، محمود بن جبير.(د.ت).رحلة ابن جبير، بيروت: دار المشرق العربي،ص178.
(40) طقوش ، سلاجقة الروم، ص111.
(41) ابن واصل، محمد بن سالم .(1985).مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، القاهرة : مطبعة دار الكتب، ج1، ص132.
(42) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص194.
(43) ابن واصل مفرج الكروب، ج1، ص233.
(44) ابن الأثير ،التاريخ الباهر، ص160.
(45)ابن العبري،تاريخ الزمان، ص190.
(46)ابن واصل، مفرج الكروب، ج1،ص218-219.
(47) باقر، الألقاب الإسلامية، ص212.
(48)المرجع نفسه، ص189.
(49) إبراهيم، فهيم فتحي.(2010).نصوص الإنشاء والعمائر الدينية السلجوقية في الأناضول ، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، بدون مجلد(11)، ص212.

1180-1225م):

تجسدت العلاقات السياسية الحسنة بين الخلافة العباسية وسلاجقة الروم على أثر المصاهرة التي ربطت بين الدولتين، حينما أقدم الخليفة الناصر لدين الله على الزواج من سلجوقة خاتون بنت السّلطان ركن الدين مسعود سنة (582هـ/ 1186 م) [50]، ومن المؤكد أن مثل هذه المصاهرة وثقت الرباط بين الدولتين وأحدثت تقارباً في العلاقات.

وبالمقابل، كانت العلاقات قد ساءت بين العباسيين وسلاجقة الشرق العظام، واستعان الخليفة الناصر بعلاء الدين خوارزم شاه للتخلص من آخر السلاطين السّلاجقة طغرل بن أرسلان590 هـ / 1194م)[51] ، وانتهى حكم السّلاجقة العظام، ولم يبق منهم إلا من هو في بلاد الروم.[52]

شهدت بلاد الروم تطوراً كبيراً على الصعيد الداخلي، عندما قام السّلطان عز الدين بتقسيم مملكة السّلاجقة بين أبنائه الاثني عشر في سنة (585هـ/1186 م) [53]؛ فقد نشبت الصراعات الأهلية بين الإخوة، ولما استقرت الأمور لصالح ركن الدين سليمان شاه (589-601هـ/ 1190-1203م)، سعى إلى الاتصال بالخليفة الناصر لدين الله، وأرسل إليه الهدايا والأموال، وخطب باسمه ونقشه على السكة السلجوقية[54]. وفي المقابل، أنعم عليه الخليفة بلقب "السّلطان القاهر"[55]، ووُجِدَ نقش على سكة السّلطان ركن الدين سليمان شاه في مدينة قونية بلقب "القاهر ركن الدنيا والدين"، وفي نقش آخر لقب "السّلطان القاهر ركن الدنيا والدين معز الإسلام والمسلمين ناصر أمير المؤمنين" و"سليمان بن قليج أرسلان برهان أمير المؤمنين"[56]. كما أرسل إليه الخليفة شارات السلطنة، وهي: النوبة تضرب ثلاث مرات والخاتم وعلم ومظلة [57]، وفي ذلك تأييد وشرعية من الخلافة لسلطانه ومظاهرته على إخوته في بلاد الروم.

ولما تولى غياث الدين بن قليج أرسلان العرش (601هـ/ 1204م)[58]، استهل عهده بتقديم فروض الولاء والطاعة للعباسيين، ولما دخل إلى قونية للجلوس على العرش، سار تحت مظلة سوداء اللون[59] كناية عن التبعية؛ جرياً على العادة السلجوقية في الحصول على الدعم والشرعية اللازمين، في ظل تفاقم الصراعات الأهلية على السلطة في بلاد الروم. وقد افتقر عهد السّلطان غياث الدين إلى وجود علاقات سياسية مع الخلافة العباسية، ويعزى ذلك لفترة حكمه القصيرة وانشغاله بالفتوحات على الجبهة اليونانية[60]. لكن اعتراف الخليفة الناصر بسلطانه أضفى على حكومته الشرعية، ولقب من دار الخلافةً بالسّلطان "القاهر "[61]، ومن المؤكد أن هذا أضاف له هيبة ولسلطنته رونقاً، وربما ارتبط ذلك بالانتصار الذي حققه السّلطان على البيزنطيين، عندما فتح ميناء أنطاليا على السواحل الجنوبية للأناضول سنة (603هـ /1206م).

وشهدت العلاقات تطوراً كبيراً بين الخليفة الناصر لدين الله والسّلطان عزالدين كيكاوس الأول (608-616 هـ/ 1211- 1319 م)، وذلك تزامناً مع ظهور نظام الفتوة الذي أسّسه الخليفة الناصر؛ بهدف الالتفاف حول الخلافة سياسياً واجتماعياً، ففي سنة (607هـ/1210م)، طلب الخليفة من جميع ملوك المسلمين وأمراء الأطراف أن ينتموا إليه في الفتوة ويعدونه إمامهم فيها، على أن تنتمي رعية كل منهم إلى ملكها[62]، ومن أجل ذلك أرسل الخليفة للسلطان عزالدين كيكاوس رسالة خطية دعاه فيها إلى الانضمام للفتوة، كما أرسل إليه كتاب الفتوة وسراويلها[63] ،وقد استجاب السّلطان عز الدين لدعوة الخليفة ودخل في نظام الفتوة، وهذا يعني الانضواء تحت راية الخلافة واستعداده التام لتنفيذ سياستها.

ولما فتح عزالدين كيكاوس ميناء سينوب على البحر الأسود سنة (611هـ/1214م)، أرسل إلى الخليفة الناصر لدين الله يبشره بهذا الفتح، الذي قرت به عين السلطنة وتقررت به أمور الإسلام[64]، كما أرسل كثيراً من الغنائم التي حصلها للخليفة، وطلب منه أن يرسل له سراويل الفتوة.[65]

رحب الخليفة الناصر لدين الله بسفارة السّلاجقة واستقبلها بحفاوة بالغة [66]، وردّ العباسيون على تلك السفارة بسفارة أخرى إلى السّلطان عز الدين ورسالة من الخليفة وكتاب الفتوة وسراويل الفتوة"[67]، وقد حفظ المؤرخ السلجوقي ابن بيبي نسخة من كتاب الفتوة الذي أرسله الخليفة الناصر لدين الله[68]، ونعت الخليفة سلطان الروم بأجلّ الألقاب وأرفعها مكانة، ومما جاء فيه: "... المجاهد عز الدين، مجد الإسلام، اختيار الأنام، جلال الدولة، تاج الأمة، قاتل الكفرة والمشركين، عماد المجاهدين، ملك بلاد الروم". ويشير كتاب الفتوة إلى أن السّلطان عز الدين هو الذي سعى إلى طلب الانخراط بنظام الفتوة من الخليفة .[69]

كما أرسل الخليفة إلى عز الدين منشوراً بالسلطنة يفوضه فيه حكم بلاد الروم، وعمامة سوداء، ومقرعة الحدود، والمظلة السوداء، ومركوباً (جنيبة دار الخلافة)، وأوصاه بإقامة حدود الله في البلاد[70]، وأرسل إليه هدايا تفاخر بها السّلطان على الملأ بمدينة قونية [71]. كما ظهر اسم الخليفة الناصر لدين الله على سكة السّلطان عز الدين كيكاوس وكان من ألقابه "برهان أمير المؤمنين" "نصير أمير المؤمنين" "ناصر أمير المؤمنين"[72]. ولما فتح عز الدين كيكاوس مدينة أنطاليا سنة (612هـ / 1215م)، أرسل ببشائر الفتح محملة بالهدايا إلى دار الخلافة ببغداد.[73]

سادت علاقات الود والصداقة بين الخلافة والسلطنة طوال عهد السّلطان عز الدين كيكاوس، ولا يوجد أي دلالات تشير إلى أن الخلافة العباسية تدخلت بالشؤون الداخلية للسلاجقة، لاسيما ما يتعلق منها بتقلبات العرش، فقد نأت جانباً إزاء الصراعات التي دبت بين الورثة بعد وفاة السّلطان عز الدين كيكاوس الأول، ولما أجمع الأمراء والأعيان على تنصيب علاء الدين كيقباد العرش سنة (616هـ/ 1219م)، قدموا له عمامة أخيه السّلطان عز الدين وخاتمه، وقد صبغا باللون الأسود[74]، وكأنما أرادوا بذلك الإشارة إلى شرعية السّلطان الجديد وتهدئةً للصراعات، وقد بادر الخليفة إلى تهنئة علاء الدين بالسلطنة، فأرسل إليه بعثة دبلوماسية من بغداد سنة (617هـ /1220م) لتقليده شارات السلطنة، وأعطاه منشور السلطنة وفوضه بنيابة حكومة ممالك الروم، وأرسل إليه الخلع والتشريفات والسيف والخاتم[75]؛ دعماً لشرعيته أمام رعاياه، وأرسل إليه سراويل الفتوة كناية عن التبعية والانقياد.[76]

استقبل السّلطان علاء الدين مبعوث دار الخلافة بكل تقدير وإجلال، وأمر كبار الأمراء والقضاة والأئمة والمتصوفة في السلطنة بالخروج لاستقباله، ثم خرج هو بنفسه على رأس جيش مهيب منظم لاستقباله[77]. وجرت المداولات بين الطرفين العباسي والسّلاجقة، وتم التباحث خلال اللقاء في الشؤون المالية والعسكرية، وقد التزمت السلطنة بتقديم مبلغ من مال الخراج الذي فرضه السّلاجقة على الأرمن للخلافة العباسية، بلغت قيمته مئة وخمسة آلاف دينار من الذهب السّلطاني وكميات أخرى من الأمتعة.[78]

وتوالت البعثات الدبلوماسية تباعاً بين الدولتين، ورتب السّلطان سفارة

(50) ابن الساعي، علي بن أنجب .(د.ت).نساء الخلفاء ، تحقيق: مصطفى جواد، القاهرة: دار المعارف، ص 110.
(51) سبط الدين الجوزي ، مرآة الزمان، ج8، ص435.
(52) النويري، أحمد بن عبد الوهاب.(1985). نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، تحقيق: سعيد عاشور، مراجعة محمد مصطفى، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.ج27، ص42.
(53) قاضي نكيدي، الولد الشفيق، ص315.
(54) المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص 476.
(55) منجم باشي، جامع الدول، مج2، ص26،باقر، الألقاب الإسلامية، ص158، 167
Hakki, *OsmanliTeskilatinda,* p68
(56) باقر، الألقاب الإسلامية، ص213.
(57) قاضي نكيدي، الولد الشفيق، ص316.
Hakki, Osmanli Teskilatinda, p72
(58) منجم باشي، جامع الدول، مج2، ص28-29.
(59) ابن بيبي، حسين محمد الرغدي. (1956).الأوامر العلائية في الأمور العلائية،نسخة مصورة عن محطوط رقم (2985) مكتبة آيا صوفيا، عدنان أرزاي، أنقرة: دن. ص90، مجهول، مختصر سلجوقنامه.(1994). ترجمة، محمد السعيد جمال الدين ، قطر: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ص34.
(60) زيباري، سلاجقة الروم، ص154.
(61) المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص476.
(62) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص306، ج4، ص164.
(63) ابن بيبي،الأوامر العلائية، ص 432. ابن المعمار، محمد بن أبي المكارم البغدادي.(1958). كتاب الفتوة، تحقيق، عبد الحليم النجار،بغداد: مطبعة شفيق، ص70. ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد .(1959).تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق : محمد الكاظم،طهران: وزارة الثقافة والإرشاد، ج2، ص345.
(64) ابن بيبي،الأوامر العلائية، ص 156،منجم باشي ،جامع الدول، م2،ص43.
(65) ابن بيبي، الأوامر العلائية، ص156.
(66) منجم باشي،جامع الدول، مج2، ص43.
(67) الأنوي، القاضي برهان الدين بن مسعود، أنيس القلوب ، نشر (Turk Tarihi Kurumu Basimvi) Belleten Gilt VII,SAy:27.Ankara, p518.. Koprula ,M. F.(1943)
(68) ابن بيبي، الأوامر العلائية، ص 156-158.
(69) المصدر نفسه، 158.
(70) القاضي برهان الدين،أنيس القلوب، ص519.
(71) مجهول،مختصر سلجوقنامه، ص72.
(72) باقر، الألقاب الإسلامية، ص168.
(73) Turan, O.(1988). *Turkiye Selcuklulari Hakkinda Resmi vesikalar,* Ankara: Turk Tarhi Kurumu p106
(74) مجهول مختصر سلجوقنامه، ص103، منجم باشي،جامع الدول، مج2، ص50.
(75) ابن الفوطي،مجمع الاداب، ج2،ص345.
Hakki, *OsmanliTeskilatinda,* p67
(76) ابن الفوطي،مجمع الاداب، ج2، ص345.
(77) مجهول،مختصر سلجوقنامة، ص116-117
(78) ابن بيبي،الأوامر العلائية، ص234.

جديدة وأرسلها إلى دار الخلافة [79]، ثم وصلت بعثة دبلوماسية أخرى من بغداد إلى أراضي السلطنة سنة (619هـ/1222م)[80] برئاسة الشيخ محيي الدين بن الجوزي، يحمل فيها رسالة خطية من الخليفة الناصر لدين الله لسلطان الروم، يستنجد فيها بالعساكر السلجوقية حين توارد إلى مسامع الخلافة أن المغول يستعدون لغزو العراق، وطلب من علاء الدين كيقباد أن يمده بألفي فارس نجدةً وفزعة؛ احترازاً من الخطر المغولي الداهم[81]، واستقبل السّلاجقة رسول الخليفة بحفاوة بالغة، وخرج السّلطان لاستقباله مع جمع من الأمراء تحت المظلة السوداء – كناية عن الولاء والتبعية- وجرى له احتفال رسمي كبير، وقد أحضر معه من بغداد الخلع والتشريفات والهدايا من الذهب والفضة.[82]

سارع السّلطان علاء الدين بتلبية استغاثة الخلافة وردَّ على المبعوث بالسمع والطاعة، وبدلاً من الألفي فارس الذين طلبهم الخليفة، أرسل إليه خمسة آلاف، كما قدم السّلطان دعماً مادياً للخلافة قدر بنحو خمسين ألف دينار ذهبي سلطاني، وهدايا جليلة، وعشرين ألف دينار للنفقة على البعثة ومن يرافقها من كبار الشخصيات..[83]

كان السّلطان علاء الدين يكّن وافر التقدير لهيبة الخلافة، لكنه كان يرى وجهة نظر مغايرة لرؤية الخليفة الناصر لدين الله؛ فهو يرى أنه لا يجوز مقابلة جيوش المغول إلاَّ بالمداراة، والأصوب أن يشير أمير المؤمنين بأن يتجمع من كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية رسول، ثم تجتمع الرسل محملة بالتحف والهدايا، ويسيرون مع رسول الخليفة إلى الخان ويعرضون عليه المصالحة، خوفاً أن يحلَّ بالمسلمين الدمار، لكن السّلطان لم يجرؤ على إبلاغ الخليفة بهذا الرأي؛ حتى لا يحمل من باب العجز والضعف ..[84]

سارت العساكر السلجوقية إلى بغداد، ولما وصلت إلى مشارف الموصل استوقفها بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل (606-665 هـ/ 1209- 1261م)، وقدم للسلاجقة خلالها الإقامات والخدمات، وكتب رسالة إلى الملك كوكبوري صاحب إربل، يحذره فيها من كثرة النفقات التي ستتكبدها الخلافة إذا ما دخلت الجيوش السلجوقية بغداد نظراً لكثرتها، فجاءت الأوامر من ديوان الخلافة برجوع العساكر السلجوقية إلى بلاد الروم، وقد وصل رسول من دار الخلافة وسلم القائد بهاء الدين رسالة من الخليفة، فوضع الأمير بهاء الدين رسالة الخليفة على مفرق رأسه كناية عن الاحترام، وقدمت الخلافة للجيش السلجوقي مبلغ خمسين ألف دينار وهدايا جليلة، ودعا الأمير بهاء الدين للخليفة الناصر وأثنى على ما قدمه من ميزة للجيش السلجوقي، وسجل القائد هذه المنحة العباسية في سجلات خاصة، ثم قام بتوزيعها على الجيش..[85]

وفي الوقت الذي كان فيه سلاجقة الروم قد بلغوا أعلى سلطاتهم السياسية وأقصى توسعاتهم الجغرافية زمن السّلطان علاء الدين كيقباد، باتت الخلافة العباسية على مفترق طرقٍ كبير؛ عندما ودعت واحداً من أعظم خلفائها الناصر لدين الله أحمد سنة (622هـ / 1224م)، فانفك عقد المصاهرة بين الدولتين، ولكن عقد العلاقات السياسية ظل قائماً، وكانت رسل دار الخلافة وأذربيجان والشام ومصر تصل تباعاً إلى العاصمة قونية لتهنئة السّلطان بفتوحاته العسكرية.[86]

4.2. العلاقات زمن الخليفة المستنصر بالله (623-640هـ/ 1225-1242م):

سار الخليفة المستنصر بالله على نهج أبيه الناصر في توثيق أواصر العلاقات مع سلاجقة الروم، ويبدو أن الخليفة كان يتابع سير الفتوحات التي حققها السّلطان علاء الدين، التي غالباً ما كانت تسجل باسم الإسلام وحامي حماه أمير المؤمنين خليفة بني العباس، وقد وصلت السلطنة إلى أقصى اتساع لها أيام علاء الدين كيقباد؛ بلغت به من مدينة حلب والجزيرة الفراتية وقيليقية حتى حدود مملكتي طرابزون ونيقية[87] ، ورافق ذلك اتساع واضح لنفوذ السّلطان علاء الدين، وصل فيه إلى حد مشاركة أمير المؤمنين المستنصر بالله نفوذه وصلاحياته، وخوطب من دار الخلافة بلقب "السّلطان الأعظم والقسيم المعظم"[88]، وتعد هذه المرة الأولى التي يخاطب فيها أحد من السلاطين بهذا اللقب، في إشارة إلى مشاركة السّلطان للخليفة في صلاحياته ونفوذه، ويرى المؤرخ السلجوقي ابن بيبي أنّ تلك المشاركة الواسعة تعدّ حقاً متوارثاً لسلاجقة الروم عن أسلافهم السّلاجقة العظام.[89]

تواردت الوفود الدبلوماسية العباسية إلى بلاد الروم، فقد وصلت من دار الخلافة بعثة جديدة، اجتمعت بالسّلطان السلجوقي في مدينة قيصرية، وقدمت له التحف والهدايا وهنأته بالفتوحات، وعند رجوع الوفد إلى بغداد شملهم السّلطان بالعطاء الجزيل. وتشبث السّلاجقة بالولاء والطاعة المطلقة للخلافة مقابل الحصول على الشرعية، وشارات السلطنة ممثلة باللواء الأسود، والعمامة السوداء، والمظلة، والخاتم، والسيف، والمقرعة، وقد استغلّ بعض المغرضين في السلطنة تلك الدلالات؛ للإيقاع بالسلاطين وضربهم بالخلفاء خدمة لمصالحهم الشخصية، فقد استغلّ سعد الدين كوبك اضطراب الأوضاع الداخلية في السلطنة، وحاول إقناع السّلطان غياث الدين كيخسرو (634-644هـ / 1236-1246م) بتغيير لواء العباسيين، وخلع شعارهم واستبدال دلالته السوداء باللون الأزرق، لينسب إليه فعل الخروج على الخلافة ويرتقي الأمير كوبك بدوره في السلطنة [90].

ظلّ السّلطان غياث الدين كيخسرو مذعناً لطاعة الخلافة العباسية متوشحاً بردائها الأسود، ففي سنة (634هـ / 1236م) حدثت أزمة سياسة بين السّلاجقة والأمراء الأيوبيين، بسبب التوسعات السلجوقية باتجاه الشام والجزيرة الفراتية، وقد استغل السّلطان السلجوقي حالة الفوضى السياسية جراء الصراعات الأهلية بين أبناء البيت الأيوبي، وقصد مدينة آمد وحاصرها حتى ضيّق عليها [91]. فأرسل نجم الدين أيوب إلى الخليفة المستنصر بالله يستجير به على السّلاجقة، ويسأله الكف عن أملاكه في آمد[92]، فأجاره الخليفة العباسي، وأرسل الشيخ محيي الدين بن الجوزي إلى سلطان الروم برسالة خطية يأمره فيها بوقف الحرب مع الأيوبيين، ولما عرض ابن الجوزي رسالة أمير المؤمنين، رفعها السّلطان ووضعها على رأسه وامتثل لأمر الخلافة وأوقف القتال.[93]

4.3. العلاقات السياسية زمن الخليفة المستعصم بالله (640-656هـ/ 1242-1258م):

اجتاحت جيوش المغول بلاد الروم في سنة (640هـ/ 1242م)، وسارع السّلطان غياث الدين كيخسرو لطلب النجدات من ملوك الأطراف وأصدقاء السلطنة[94]، ولم ترد إشارات تدلل على استنجاد السّلاجقة بالخلافة العباسية في بغداد، وكل ما علم أن العباسيين أرسلوا مبعوثهم محيي الدين بن الجوزي رسولاً إلى بلاد الروم، وقد اجتمع بالسّلطان غياث الدين في مدينة أنطاليا سنة (641هـ/ 1243م) [95] ، ولعل المداولات التي دارت بين الطرفين قد أخذت حيّزاً للتباحث بأحوال السلطنة، وتدارس أحوال المسلمين جراء الخطر المغولي، ويبدو أنّ هذه السفارة وصلت إلى السّلطان في أعقاب هزيمة السّلاجقة أمام القوات المغولية[96]، في معركة كوسه داغ التي كانت تشكل بداية النهاية لدولة السّلاجقة في بلاد الروم، فقد دخلت السلطنة في طور الضعف والانهيار، وأعلن رسمياً عن نظام النيابة الذي أصبح السّلاجقة يرزحون فيه تحت الحكم المغولي.[97]

انعكست آثار هزيمة السّلاجقة على الخلافة، فقد كانوا يمثلون مع بقية الإمارات الإسلامية أحد وجوه هيبة الخلافة، وزادت رقابة المغول على السّلاجقة وسيطروا على مقدرات السلطنة وعوائدها المادية، التي كان يذهب جزء منها إلى خزينة دار الخلافة، فأصبحت ترسل إلى خزينة

(79) ابن بيبي، الأوامر العلائية، ص456.
(80) منجم باشي، جامع الدول، مج2، ص54.
(81) ابن بيبي، الأوامر العلائية، ص259.
(82) لمصدر نفسه، ص258.
(83) مجهول، مختصر سلجوقنامة، ص132.
(84) ابن بيبي، الأوامر العلائية، ص261.
(85) المصدر نفسه، ص263-264.
(86) مجهول، مختصر سلجوقنامه، ص120-135.
(87) المصدر نفسه، ص245.
(88) ابن بيبي، الأوامر العلائية، ص456.
(89) المصدر نفسه، ص364
(90) ابن بيبي، الأوامر العلائية، ص475.
(91) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص190.
(92) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ، ج2، ص120
(93) مجهول، مختصر سلجوقنامه، ص279
(94) الربيدي، فاطمة يحي.(2004). سلطنة سلاجقة الروم في الأناضول منذ الغزو المغولي وحتى سقوطها (640-708هـ124 /2-1308م)، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، الأردن، ص41-43.
(95) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص94.
(96) الربيدي، سلاجقة الروم، ص43.
(97) ابن بيبي، الأوامر العلائية، ص602 .

المغول[98]. والأصعب من ذلك، أن المغول سلبوا الخلفاء العباسيين صلاحياتهم في التفويض الشرعي الذي كانوا يقدمونه للسلاطين السلاجقة، فقد أرسل باتوخان (ت 651هـ/ 1253م) "جعبة سهام وسيفاً وقباء وقلنسوة مرصعة، وحرر له أمراً ملكياً وجعله نائباً عنه في البلاد.."[99]وبعد وفاة السّلطان غياث الدين سنة (644هـ / 1246م)، تصارعت قوى السلطنة وأقطاب النفوذ فيها على الحكم، وحسماً للخلاف؛ اتفقت جميع الأطراف أن يكون العرش تحت الإدارة الثلاثية لأبناء السّلطان غياث الدين كيخسرو وهم: عز الدين كيكاوس، وركن الدين قليج أرسلان الرابع، وعلاء الدين كيقباد الثاني[100]، وكانوا جميعاً قاصرين، واستمرت الإدارة الثلاثية خلال الفترة (644-655هـ/ 1246-1257م)، تمسك فيها السلاطين الأعاظم بالطاعة للعباسيين وتلقبوا بلقب "براهين أمير المؤمنين".[101]

واستؤنفت العلاقات السياسية والبعثات الدبلوماسية بين العباسيين وسلاجقة الروم في ظلّ الحكومة الثلاثية للسلاطين؛ فقد أرسل السّلاجقة في سنة (649هـ/ 1251م) وفداً دبلوماسياً رفيع المستوى تشكل من الأمير جلال الدين قراطاي والقاضي عز الدين محمد الرازي، يحملون رسالة إلى الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين[102]، لم تذكر المصادر فحوى الرسالة ولا تداعيات اللقاء، لكن المؤرخ السلجوقي ابن بيبي أشاد بدور القاضي عز الدين الرازي وحكمته في توثيق عرى الصداقة مع العباسيين في طور احتضار الدولتين، ووصفه: " بعلو الهمة، ولم يكن من أحدٍ سواه تسند إليه الوساطة والسفارة إلى دار السلام..[103]

بدأت الخلافة العباسية تحتضر في بغداد، وبات كلّ من العباسيين وسلاجقة الروم على أعتاب مفترق طرق كبير أفل به نجم العباسيين، أما السّلاجقة فكانوا قد انخرطوا في ظل التبعية المغولية، لاسيّما بعد الحملة العسكرية الضارية التي أرسلها المغول إلى بلاد الروم سنة (654هـ/ 1256م)، واحتلالهم العاصمة قونية[104]، ومع ذلك ظلّ السّلاجقة على ولائهم للخلافة العباسية، فلما استقلّ السّلطان ركن الدين قليج أرسلان الرابع بحكم السلطنة (655-663هـ/ 1257-1265م)، ظلّ ينقش اسم الخليفة المستعصم بالله على نقوده على الرغم من مقتل الخليفة سنة (656هـ / 1258م)، ويعزى ذلك لأنه كان ضعيفاً أمام نفوذ المغول في بلاده، وكانت سلطته السياسية مهزوزة، فلا يمكنه أن يضرب نقوداً بدون اسم الخليفة حتى لا يستهين به الناس[105]، وظلّ السّلاجقة ينقشون اسم آخر الخلفاء مع أسمائهم من أجل الاحتفاظ بشرعية حكوماتهم، فكانوا يعدّون الخليفة ممثلهم الشرعي في البلاد، وكانوا يرون ضرورة وجود خلافة تبارك العالم وتجعل سلطان الولاة شرعياً..[106]

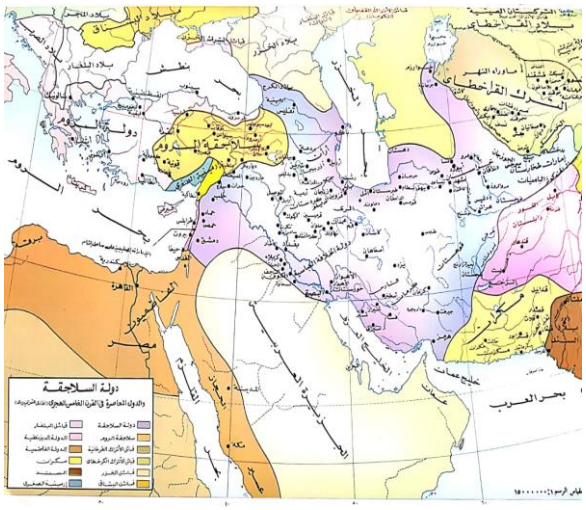

5. نتائج الدراسة

- بدأت العلاقات السياسية ضئيلة بين الخلافة العباسية وسلاجقة الروم؛ لأنهم كانوا يشكلون أحد فروع مملكة سلاجقة الشرق العظام، ولم تكن لهم علاقات مباشرة مع الخلافة، ويرجع ذلك إلى البعد الجغرافي الذي حال دون التواصل بين الدولتين، وكذلك الانشغال الدائم لسلاجقة الروم بالفتوحات الإسلامية على الجهة الغربية من العالم الإسلامي.
- تذبذبت العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية وسلاجقة الروم، وفقاً للظروف السياسية التي كانت تحكم الخلافة العباسية بالقوة، وخاصة سلاجقة الشرق العظام الذين كانوا يفرضون هيمنتهم على هيبة الخلافة، ولذا تأثرت العلاقات بين العباسيين وسلاجقة الروم إلى حدٍّ كبير بطبيعة علاقتهم بالسّلاجقة العظام.
- نشطت العلاقات السياسية بين العباسيين وسلاجقة الروم بعد انقراض السّلاجقة العظام، ووصلت إلى ذروتها زمن الخليفة الناصر لدين الله، حيث ارتبط الطرفان بالمصاهرات السياسية، إضافة إلى انضمام السّلاجقة لنظام الفتوة، بينما خفّت وطأة العلاقات زمن الخليفة الراشد بالله وانقطعت أخبارها؛ بسبب انشغال السّلاجقة بالجهاد ضد البيزنطيين.
- التزم سلاجقة الروم بتقديم فروض الطاعة والولاء للخلافة العباسية؛ باعتبارها أعلى سلطة روحية ومرجعية سياسية للمسلمين، كما التزموا بتقديم الأموال إلى خزينة الخلافة، وعددٍ من القوات السلجوقية نجدة للخليفة عند الضرورات. وبالمقابل، أنعم الخلفاء على السلاطين بالتقليد والتلقيب الذي يخولهم الشرعية المطلقة أمام رعاياهم.

نبذة عن المؤلفة

فاطمة يحيى زكريا الربيدي

أستاذ مشارك فلسفة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، قسم العلوم، كلية عجلون الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن. الأساسية،
faalrobidi@yahoo.com, 00962776634639

د. الربيدي نشرت ما يزيد على 22 بحثاً علمياً في مجلات علمية محكمة تصدر عن مؤسسات بحثية، وشاركت في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية المحلية والدولية. ساهمت في كتابة ما يزيد عن خمسين مدخلاً علمياً في موسوعة الأعلام والعلماء العرب والمسلمين، الصادرة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/ أليكسو. عضو في العديد من لجان البحث العلمي والتعيين والترقية في الجامعة التي تعمل بها. عضو مؤسس لجمعية عجلون للدراسات والبحوث العلمية. لها العديد من المحاضرات والندوات والأنشطة العلمية المحلية والدولية.

المراجع

إبراهيم، فهيم فتحي. (2010). نصوص الإنشاء والعمائر الدينية السلجوقية في الأناضول. *مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب*، **11**(بدون عدد)، 209-220.

ابن الأثير، علي بن الحسن أبو الكرم محمد الشيباني. (1972). *الكامل في التاريخ*. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن الساعي، علي بن أنجب. (بدون تاريخ). *نساء الخلفاء جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء*. القاهرة: دار المعارف.

ابن العبري، أبو الفرج بن هارون جمال الدين الملطي. (1986). *تاريخ الزمان*. بيروت: دار المشرق.

ابن العمراني، محمد بن علي. (1973). *الأنباء في تاريخ الخلفاء*. لايدن: المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية.

ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد. (1995). *تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب*. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد.

ابن المعمار، محمد بن أبي المكارم البغدادي. (1958). *كتاب الفتوة*. بغداد: مطبعة شفيق.

ابن بطوطة، محمد بن عبدالله. (1987). *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن جبير، محمود بن جبير. (بدون تاريخ). *رحلة ابن جبير*. بيروت: دار المشرق العربي.

ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى شهاب الدين. (1992). *التعريف بالمصطلح*

(98) المصدر نفسه، ص455
(99) المصدر نفسه، ص543 .
(100) المصدر نفسه، ص550
(101) باقر، الألقاب الإسلامية، ص219.
(102) ابن بيبي، الأوامر العلائية، ص602
(103) المصدر نفسه، ص602 .
(104) المصدر نفسه، ص623.
(105) الحسيني ،محمد باقر.(1969) .تطور النقود العربية الإسلامية ، بغداد: مطبعة الجاحظ، ص60-61.
(106) المرجع نفسه، ص60.

الشريف. الأردن: جامعة مؤتة.

ابن كثير، إسماعيل بن كثير. (بدون تاريخ). *البداية والنهاية*. المنصورة: مكتبة الإيمان.

ابن واصل، محمد بن سالم. (1983). *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*. القاهرة: مطبعة دار الكتب.

أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر. (بدون تاريخ) . *تقويم البلدان*. بيروت: دار صادر.

الآقسرائي، محمد بن عبد الكريم. (1999). *مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار*. أنقرة: بدون دار نشر.

آنا كومنينا. (2004). *اليكساد*. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

الحسيني، محمد باقر. (1969). *تطور النقود العربية الإسلامية*. بغداد: مطبعة الجاحظ.

الحسيني، محمد باقر. (1971). دراسة تحليلية وإحصائية للألقاب الإسلامية. *مجلة سومر*، **27**(1-2)، 210-231.

الربيدي، فاطمة يحيى. (2004). *سلطنة سلاجقة الروم في الأناضول منذ الغزو المغولي وحتى سقوطها (640-708هـ/ 1242-1308م)*. رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن.

زيباري، محمد صالح. (2007). *سلاجقة الروم في آسيا الصغرى*. عمان: دار دجلة.

سبط بن الجوزي، شمس الدين يوسف بن عبدالله. (1952). *مرآة الزمان في تاريخ الأعيان*. الهند: دائرة المعارف العثمانية.

السرياني، ميخائيل. (1996م). *تاريخ مارميخائيل الكبير*. دمشق: دار ماردين.

طقوش، محمد سهيل. (2002) .تاريخ *سلاجقة الروم في آسيا الصغرى*. بيروت: دار النفائس.

القزويني، زكريا بن محمد. (بدون تاريخ). *آثار البلاد وأخبار العباد*. بيروت: دار صادر.

مجهول. (1994). *مختصر سلجوقنامه*. قطر: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (1956). *السلوك لمعرفة دول الملوك*. القاهرة: بدون دار نشر.

منجم باشي، أحمد بن لطف الله. (2000). *جامع الدول (تاريخ الروم من آل سلجوق والذيل عليها. تركيا*، إزمير: دار الكتب الأكاديمية.

مؤنس، حسين. (1987). *أطلس تاريخ الإسلام*. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب. (1985). *نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الهروي، أبو الحسن علي بن أبي الحسن. (2002). *الإشارات إلى معرفة الزيارات*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

Abu Al-Fida, E.M. (n/a). *Taqwim Albuldan* 'Country Calendar'. Beirut: Dar Sader. [in Arabic]

Al- Qazwini, Z.M. (n/a). *Athar Albilad Wa-Khbar Aleibad* 'The Effects of the Country and the News of the Beople'. Beirut: Dar Sader. [in Arabic]

Al-Robidi, F.Y. (2004). *Saltanat Salajiqat Alruwm fi Al'anadul Mundh Alghazw Almughwalii Wahataa Suqutiha (640-708h)* 'History of the Sultanate of the Rum Seljuks in Anatolia from the Mogols Invasion till the falldown of Sultanate (1242-1308)'. PhD Thesis, Yarmouk University, Jordan. [in Arabic]

Al-Anwi, K.M. (1943). *Anis Al-Quloub* 'Amias Hearts'. Ankara: Belleten, Gilt Ili. [in Persian]

Al-Aqsarayi, M.A. (1999). Musamarat Al'akhbar Wamusayarat Al'akhyar *'The News and Keeping up with the Good Guys'*. Ankara: Don. [in Persian]

Al-Husseini, M.B. (1971). DrasaTahliliat Wa'iihsayiyat lil'alqab Al'iislamia 'An analytical and statistical study of Islamic titles'.*Sumer Magazine*, **27**(1–2), 210–31. [in Arabic]

Al-Husseini, M.B. (1969). *Tatawur Alnuqud Alearabiat Al'iislamia* 'The Development of Arab Islamic Money'. Baghdad: Al-Jahiz Press. [in Arabic]

Al-Nuwairi, A.A. (1985). *Nihayat Alarb fi Maerifat Fnun Al'Adab* 'The End of The Arab World in Knowledge of Arab Arts'. Cairo: Egyptian General Book Authority. [in Arabic]

Al-Syriani, M. (1996). *Tarikh Mar Mikhayiyl al_Syrian* 'History of St Michael Syriac'. Aleppo: Dar Mardin. [in Arabic]

Cahen, C. (1968). *Pre Ottoman Turkey 1071-1330*. London: Sidgwick.

Hakki, I. (1970). *Osmanli Devletleri Tarihi Medhal*. Ankara: Turk Tarhi Kurumu Basimevi.

Hakki, I. (1970). *Ottoman States History Medhal* 'Osmanli Devletleri Tarihi Medhal'. Ankara: Turk Historical Society Printing House. [in Turkey]

Ibn Al-Abri, G.H. (1986).*Tarikh Alzaman*.'The Chronography'. Beirut: Dar Al Mashreq. [in Arabic]

Ibn Al-Amrani, M.A. (1973). *Anba'alkhulafa* 'Caliphs News'. Liden: The Netherlands Institute for Egyptian Antiquities. [in Arabic]

Ibn Al-Atheer, A.M. (1972**).** *Akamil Fi Alttarikh***,** 'Full in History'. Beirut: Dar Al-Kitab. [in Arabic]

Ibn Al-Mimar, M.M. (1958). *Kitab Alfutua* 'The Bully's Book'. Baghdad: Shafiq Press. [in Arabic]

Ibn Al-Sa'i, A.A. (1952**).** *Nisa' Alkhulafa' Jihat Al'ayimat Alkhulifa' Min Alharayir Wal'iima'* 'Caliph Women Imams Caliphs and Slaves'. Cairo: Dar al-Maarif. [In Arabic]

Ibn Battuta, M.A. (1987)**.** *Tuhfat Alnizar Fi Gharayib Al'amsar Waeajayib Al'asfar* 'Curiosity masterpiece in the strange oddities and wonders of travel'. Beirut: Scientific Books House. [in Arabic]

Ibn Bibi, H.A. (1956). *El-Evâmirü'l-Alâiyye fi'l-umûri'l-Alâiyye'* High orders in High-Matter Matters'. Turkey: Library of Kamal Islambool. [in Persian].

Ibn Wasil, J.M. (1977). *Mufarrej Al-Karoub fi Akhbar Bani Ayoub* 'Al-Karoub's news in Beni Ayoub'. Cairo: Dar Al-Kutub Press, Ministry of Culture. [in Arabic]

Ibrahim, F.F. (2010). Nusus alainisha' waleamayir aldiyniat alsaljuqiat fi al'anadul 'Texts of construction and seljuk religious buildingsin anatolia'. *Journal of the General Union of Arab Archaeologists,* **11**(n/a), 109–244. [in Arabic]

Munajm Bashi, A.L. (2000). *Jamie Alduwal (Taarikh Alruwm Min Al Saljuq Waldhil Ealyha).* 'Mosque of the States (The History of the Romans from the Seljuk and Tail on Them)**.** Turkey, Izmir: Academic Books House. [in Arabic]

Mustawfi, Q.H. (n/a). *Tarikh_i_Guzida* 'History of Kzida', Tehran: The Institution of the Spread of a Large Prince. [in Persian]

Nkedy, A. (2009). *Awald Alshafiq Walhafid Akhaliq* 'The Shafiq and the Creative Barefoot Boy'. Azmeer: Correction and comments of Den. [in Persian]

Sibt Ibn Aljawzi, Y.A. (1952). *Marat Alzamman fi Tarikh Al'aeyan* 'The Mirror of Timein the History of the Eyes'. India: Haydar Abad Aldkn. [in Arabic]

Taqosh, M.S. (2003). *Tarikh Salajiqat Aruwm fi Asia Alsughra* 'History of the Seljuqs of Rum in Asia Minor'. Beirut: Dar Al-Nafees. [in Arabic]

Turan, O. (1971). *Anatolia in the Period of the Seljuks and the Bylik's*. British: The Cambridge History of Islam.

Turan, O. (1988). Türkiye Selçukluları Hakkında Resmî Vesikalar 'Turkey Official Vesikalara about the Seljuks'. Ankara: Turkish Historical Society Publications. [in Turkey]

Unknown. (1994). *Mukhtasir Saljuqanamat* 'Abbreviation of Seljuknama'. Qatar: Center for Research and Social Studies. [In Arabic].

Zebari, M.S. (2007). *Salajiqat Aruwm fi Asiya Alsughraa* 'The Seljuqs of Rum in Asia Minor'. Amman: Dijla House. [in Arabic]